

شخصية الزهاوى

بمناسبة مرور عام على وفاته

بقلم السيد احمد المغربي

بقية ما نشر في العدد الماضي

الزهاوى والمرأة

الحديث عن المرأة، مهما اختلفت نواحيه وتباينت مناحيه حديث لذيق يسترعى الاسماع، ويستلقت الانظار، ويستوى الأفتدة، وهو حديث، لا نكون بعيدين عن الصواب اذا ما قررنا بأنه يلذ للمرأة أكثر مما يلذ للرجل، ولا سيما اذا كان صادراً عن الرجل نفسه، فهي تلهف شوقاً إلى الاطلاع على ما يضمه لها فؤاده وما يكنه ضميره، وهي تبذل ما ملكت يمينها وما لا تملكه يمينها لاستماع حديثه عنها، سواء أكان هذا الحديث مدحاً أم قدحاً، ثناء أم ذماً؛ بل ربما كانت إلى استماع حديث الذم والقدح أشد شوقاً وأقوى رغبة منها إلى حديث الثناء والمدح !

ذلك لأن المرأة كانت ولا تزال، وستبقى ما بقيت المرأة، سرّاً غامضاً كلما خيل للرجل أنه توصل إلى سبر غوره، واجتلاء حقيقته، أسلحه هذا السر إلى سر آخر، وهكذا حتى يقف مكتوف اليدين، مطأطىء الرأس معترفاً بعجزه مقرأً بضعفه.

من أجل هذا كان التضارب بين آراء الفلاسفة، والأدباء والشعراء، كل يصفها كما عرفها بنفسه؛ ففريق يقول بأنها ملاك تذيع السلام وتنشر الوثام، وفريق آخر يقول بأنها شيطان تسبب الاحزان والأسقام، وتثير الاضطغان والخصام، فينهض الفريق الثالث، فيعارض الاثنين بقوله، إنها بين يين !

ولقد كان فقيدنا الكبير يعتقد بسمو منزلة المرأة ويؤمن باخلاصها لإخلاصها تماماً بحملك على الايمان بالسعادة الزوجية التي كانت تهيمن في جو بيته، حتى انه ليؤثر أن يبقى بدون ذرية على أن يجرح عاطفة زوجته بالبناء على غيرها.

والمرأة في اعتقاده، لا تقل عن الرجل ذكاءً وفهماً وإدراكاً،

فهي أهل للحفاوة والتكريم، جديرة بالاحترام والتعظيم.

وهي تجلو بابتسامها الحلو وحديثها العذب، الكتابة والملل عن نفس الرجل، وتخفف عنه آلام الحياة ومتاعبها، وتبث فيه روح الجرأة والافدام، فيقتحم في سيلها الأهوال، ويستقبل الارزاء بوجه باسم ونفس مطمئة.

ويمثل لك الزهاوى مدى وفاء المرأة في فتاة شاهدها بين أهل —

الحجيم قد اخضلت عينها من شدة الأسى ولوعة الجفاء ومرارة النوى، بشعر هو السحر الحلال : —

قلت ماذا يبكي الجيلة قالت أنا لا يبكي اللظى والسعير
انما يبكي فراق حبيبي وفراق الحبيب خطب كبير
هو عني ثاء كما أنا عنه فكلانا عمن أحب شطير
فرقوا بيننا فما أن أرى اليوم سميماً ولا يراني سمي
ولو أنا كنا جميعاً لحف الخطيب في قربه وهان العسير
لا ابالي نارا وعندني حبيبي كل خطب دون الفراق يسير
ولقد وقف الزهاوى حياته على الدفاع عن حقوق المرأة —
المشروعة والذود عن كرامتها الضائعة، وكان يقصد من مناصرته المرأة، المرأة المسلمة، فصور لنا ما تلاقيه من ضروب الذل والهوان، في بيت أهلها الذي وصفه بالسجن والقبر محرومة من رؤية النور، وبين لنا ما للحجاب من مساوي فادحة وأضرار بالغة حالت دون تقدم الشرق العربي ودعا إلى السفور حتى يتاح للمرأة أن تعاضد الرجل في تحقيق الأمان والآمال التي تحتلج في نفسه.

قال هل في السفور نفع يرَجَّى قلت خير من الحجاب السفور
انما في الحجاب شل لشعب وخفاء وفي السفور ظهور
كيف يسمو إلى الحضارة شعب منه نصف عن نصفه مستور —
ليس يأتي شعب جلائل ما لم تقدم إنائه والذكور

قد عزوتم إلى السفور غروراً طائشاً قد يفضي إلى الهفوات
هل يحول الحجاب بين التي لم تتقف والطيش في الرغبات
بل أرى في الحجاب تسهيل ما تخشونه من سُكرٍ على الفتيات
وقد تحمل الزهاوى، في سبيل المرأة الأذى والهوان، وعرض حياته لخطر الاغتبال، وذلك أن قصائده أثار عاصفة

إن هدمَ العربي حوضَ حدوده سخطت عليه يعربٌ ونزارُ
لا يرفع الوطنَ العزيز سوى امرئٍ حرٍ على الوطن العزيز يغارُ

لقد صح أن الضعف ذل لاهله وأن على الأرض القوى المسيطرُ
وأن اقتحام الهول أقصر مسالكٍ إلى المجد إلا أنه متوعرُ

يا قوم إن أذعنتم للذل أغضبتهم نزارا
أتم أحق الناس إن ترعوا لأنفسكم ذمارا
هل تقبلون لنفسكم عاراً وللأعقاب عارا
والاستقلال، في نظر الزهاوي، يؤخذ بالقوة، ولا يعطى ..
فعلى العرب، إذن، أن يريقوا دماءهم الزكية ويتقدموا للموت
بقلوب لا تهاب الموت، أما اعتمادهم على الوعود والعهود فقل
يحقق لهم استقلالهم المنشود !

ذكت دماء لأجل الحق سائبة فإنها وحدها للجد أثمان
وكل شعب على الأوعاد معتمد فحظه في عراق الدهر خذلان
إن لم تكن قوة للرم بالغة فكل حق به قد لاذَ بظلان
وهو يدعو الأمة العربية إلى خدمة العلم، إلى رمز الحرية
والاستقلال، فهو السياج الوحيد الذي يدرأ عنها الأخطار
وعلى الجند إنه كياج يبق الحرم
وبه يُستقل بالرغم من عصبة الأمم
لا يحوس العدو، ملكة جيشها انتظم
نم قرير العين، يا جميل، فإن في بلادك نفوساً آية، وأنوفاً
شما، تكره الذل وتبني الاضطهاد !

نم هادىء البال، يا جميل، فإن الشباب، يتقد حماساً، وإنه
في حماسه ليغلي، لثورة البراكين ... انظروا ... ها هو ذا
قد أجاب داعي الوطن، اسمعه . ها هو ذا قد أصاخ لصوت الله .
إن المدرسة ومتاعب المدرسة لم تثنه عن خدمة علمه المفدى .
أعلم أين هم الآن . أنهم يتدربون . أنهم يحملون البنادق .
نم قرير العين، يا جميل، فإن في البلاد مليكا، هو رمز
الشباب وأمل الشباب، إنه غازي، غازي القلوب، ابن قبصل،
ابن الحسين !

أحمد المغربي

من الاستياء الشديد في العالم الاسلامي، فهاج الناس لها في بغداد
واتهموه بتحايله على الشريعة الاسلامية الفراء وطلبوا من والي
بغداد، ناظم باشا في عام ١٣٢٦ هـ أن يقيله من منصبه، وازدادت
نقمة الناس عليه حتى اضطر الى ملازمة داره ...

الزهاوي الوطني

لئن عدَّ احمد شوقي شاعر الإسلام فإن الزهاوي كان،
بلا جدال، شاعر العرب . فهو ينزع في شعره نزعة عربية،
يفتخر ببني قومه العرب ويتغنى بذكرهم، ويشيد بمحاسنهم
وهو يدعو إلى نبذ التعصب الديني فهو مدعاة إلى التفرقة،
والتفرقة تستتبع الضعف، وهذا العصر هو عصر القوة، هو
عصر التنازع على البقاء؛ الضعيف فيه مقضى عليه بالموت
أصل العروبة قد رسا كالطود في البلد الحرام
والفرع منها في العراق ومصر يسمو والشام
بغداد منذ تأسست عرفت بعاصمة السلام
عاش النصارى واليهود ومسلموها في وثام
في وحدة عربية ليست تهدد بانقسام
تبنى سعادتها الشعوب على اتحاد وانضمام
لاخير في شعب يعيش من العاسة في انقسام

كونوا جميعاً سادة لنفوسكم فالعصر هذا سيد الأعصار
أما تهلونكم فيجرح أمره في القبر عزة يعرب ونزار
ليس الحياة سوى نزاع دائم يا للضعيف به من الجبار
الفوز للجلد الجري فؤاده والويل كل الويل للخوار
ولقد رافق الزهاوي سير القضية العربية في جميع أدوارها
وجاهد في سبيلها جهاد الأبطال البواسل، وكان في هذا الجهاد
يحذر العرب من عاقبة التهاون والتكاسل، ويبث في نفوسهم
روح الجرأة والإقدام، ليعيدوا مجد أجدادهم شم الأنوف،
أباة الضيم :-

والدهر للرجل القوى على صلابته ظهيرُ
والدهر يخذل من بني والدهر يصفع من يخورُ
